

حركة التاريخ عند مالك بن نبي

١. عبد الله بوقرن

جامعة قسنطينة.



إن الدارس لفكر مالك بن نبي سوف يلاحظ لا محالة إتصافه بالاتساع في الاطلاع والعمق في الفهم مع البساطة والمرونة في تبليغ الفكرة وشرحها فما يؤكد سعة إطلاعه غوصه في أفكار هؤلاء الفلاسفة الذين خاضوا في فلسفة التاريخ، كما تمكن من الرد عليهم بكل موضوعية، فهو يعيب مثلاً على ابن خلدون إعتباره أن الحضارة هي نهاية العمران وإنما الطور الحرج من أطوار الدولة وخروجه إلى الانحلال والفساد، كما يؤاخذ على ماركس على أن نظريته من الناحية الجغرافية تتناقض مع الحدود الاقتصادية المطابقة لتكهنات الماركسية، أي أن الماركسية لا تستطيع أن تقدم تفسيراً معقولاً للمجالات التي لم تنتشر فيها الماركسية، على خريطة العالم، أما موقفه من نظرية "أرنولد توينبي" فهو موقف المعجب والمؤيد إلى حد ما إذ يقول مالك بن نبي في كتابه ميلاد مجتمع ص 24 «وهذه الأمثلة يرينا توينبي كيف أن نقص التحدي أو زيادته يؤثران بصورة واحدة على حركة التاريخ الإنساني» وقد ذهب مالك بن نبي بعيداً في تعميق هذه الفكرة إلى حد محاولة مطابقتها مع ما جاء في القرآن الكريم فقال: «ونحن يمكننا إلى حد ما أن نصوغ هذا الرأي الذي ذهب إليه المؤرخ صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم، فلا نستطيع ما دما لم نصل بهذه الطريقة إلى تفسير واضح لمنشأ الحركة التي ولدت المجتمع الإسلامي وغايته التاريخية أن نفسر هذه الحركة بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع، وأعني شروط حركته عبر قرون» مضيفاً: «والواقع أن القرآن قد وضع الضمير المسلم بين حدين هما الوعد والوعيد، ومعنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف التي يتسنى له فيها أن يجب على تحدي روحي في أساسه، فالوعيد هو الحد الأدنى الذي لا يوجد دونه جهد مؤثر، فالوعد هو الحد الأعلى الذي يصبح الجهد من ورائه مستحيلاً وذلك حين تطفئ قساوة التحدي على القوة الروحية التي منحها الإنسان»^(١).

وبناء على المرجعية العقيدية التي استمدتها أدلته في المساندة أو القصد، وإذا كانت نهاية التاريخ عند ابن خلدون هو الدولة وعند هيجل تحقيق المطلق وعند ماركس الوصول إلى الشيوعية (جنة العباد فوق الأرض) وعند توينبي بناء حضارة من خلال التحدي والاستجابة.

فما هو هدف وغاية الحركة التاريخية عند مالك بن نبي؟ وما هي عناصر هذه الحركة؟

وما نستقيه من قول مالك بن نبي إقتناعه بإرادة الإنسان الفاعلة في حركية التاريخ، وهذا ما أعجبه في نظرية هيجل التي أولت إهتماماً خاصاً للعقل ودوره في تحريك عجلة التاريخ، وهذا ما نجده عند مالك بن نبي عندما يعتبر عالم الأفكار من العوالم المؤثرة في صنع التاريخ الإنساني.

بناء على هذه المواقف التي اتخذها مالك بن نبي إزاء هذه النظريات المفسرة لحركة التاريخ،



الإستنتاج: المتأمل لفكرة مالك بن نبي حول تعريفه للمجتمع وللخطوط العريضة التي يقوم عليها يمكننا أن نلاحظ جليا تأثره بالمنهج الجدلي الذي قال به هيغل وأخذة عنه ماركس في الإهتمام بتطوير وسائل الإنتاج وكذلك فكرة التغيير والإرتقاء التي كانت تعتمدها مدارس علم الاجتماع في عصره وهي نفس الفكرة التي يعتمدها توينبي للتفريق بين المجتمعات المتحضرة والمتخلفة.

عناصر الحركة التاريخية

نظرا لإطلاع مالك بن نبي الواسع على مختلف ثقافات العالم وتعمقه في مساراتها التاريخية واستقرائه لتطورها عبر التاريخ فقد استخلص من دراسته تلك أن ثمة شيئا مهما لا يمكن إغفاله وهو أن كل حركة تاريخية لا تخلو من عناصر تدعمها وتوجه مسارها وأن هذه الحركة لا يمكنها أن توجه من دونها، بمعنى أن هذه العناصر التي تكون الحركة التاريخية ثابتة ومستقرة، إضافة إلى كونها لا تفعل فعلتها في التاريخ ولا توجه حركيته إلا بفعل الفكرة الدينية التي تبرز بين هذه العناصر مما يمكنها من أن تلعب بذلك دورا إيجابيا في تركيب الواقعة لمشكلة من سلسلة من الأحداث، والتي تعطي لنا في الأخير حركة تاريخية كقانون أو سنة من سنن الله في المجتمعات، فما هو هذا القانون؟ وما هذه السنة الإلهية، حسب فهم مالك بن نبي؟ وما أثر الفكرة الدينية في بروز حركية تاريخية؟

أولا: الإنسان

من أهم الأسباب التي دفعت بمالك بن نبي إلى اعتبار الإنسان عنصرا جوهريا ومؤثرا في حركة التاريخ وتغييره، النكسة التي ابتلى بها العالم الإسلامي وإنسان ما بعد الموحدين الذي أصيب بالغثائية وعدم الفاعلية وبالتالي تخلية عن رسالته

إن مالك بن نبي في دراسته للتاريخ كأبي دارس أو عالم بدأ أولا بتحديد مجاله والذي يمكننا من خلاله ملاحظة ومعرفة وتتبع منحنى حركيته وتطوره عبر الزمن وهذا المجال هو المجتمع، فما هو مصطلح «مجتمع» في فكر مالك بن نبي؟
"المجتمع هو الجماعة الإنسانية التي تتطور إبتداء من نقطة يمكن ان نطلق عليها مصطلح (ميلاد)..ز. ولكن حين نتحدث عن ميلاد معين، فإننا نعرفه ضمنا كحدث يسجل ظهور شكل من أشكال الحياة المشتركة، كما يسجل نقطة إنطلاق لحركة التغيير التي تتعرض لها الحياة... ومع ذلك فإن هذه الحالة الجديدة للحياة المشتركة قد تبدأ بفرد واحد يمثل في هذه الحالة نواة المجتمع الوحيد، وذلك بلا شك هو المعنى المقصود من كلمة (أمة) عندما يطلقها القآن الكريم على إبراهيم عليه السلام في قوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ وفي هذه الحالة نجد ان المجتمع (أمة) يتلخص في (إنسان واحد) أي أنه يتلخص في مجرد إحتمال حدوث تغيير في المستقبل، مازال في حيز القوة، تحمله فكرة يمثلها هذا (الإنسان).

فلكي نعطي لموضوعنا تعريفا منطقيا ينبغي أن نربطه بمعامل الزمن، بحيث نجد لهذا المعامل دلالاته النفسية والإجتماعية، ومن هذا الوجه يصبح المجتمع هو: «الجماعة التي تغير دائما خصائصها بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير... وهو ليس مجرد مجموعة من الافراد بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين "وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم بناء على ما تقدم من عناصر ثلاثة:

- حركة يتسم بها المجموع الإنساني.
- وإنتاج لأسباب هذه الحركة.
- وتحديد لإتجاهها⁽²⁾.

التاريخ أحيانا، زوسكونه أحيانا أخرى» في حين أن الإنسان في جميع الظروف هو الإنسان الذي كرمه الله وأحسن خلقه، وينتهي في سرده لهذه الفكرة إلى التمييز بين نوعين من البشر من حيث الحالة التي يكونان عليها، الأول هو العنصر الحي الفاعل المسيطر على الأحداث والفرد الذي تسيطر عليه الأحداث ومن هذا المنطلق يرى الإنسان قيمتان:

الأولى ثابتة، وهي غير متأثرة بدوره في التاريخ تبلورها طبيعته كمخلوق كرمه الله، والثانية قابلة للتغير والتأثير في التاريخ والظروف الاجتماعية، وتلك هي قيمته ككائن اجتماعي⁽⁴⁾.

التأمل لهذه الأفكار التي يصوغ وفقها مالك بن نبي أهم العناصر في نظريته حول "حركة التاريخ" تلمس بكل وضوح تعمق الوزاع الديني لديه والإدراك العميق لمعاني القرآن الكريم والمنهاج الذي وضعه الله تعالى لعباده من أجل تحقيق سام لعملية الاستخلاف فوق الأرض بدون أن يغفل فاعلية الإنسان محاولا صياغة شخصية الإنسان من منظور إسلامي، ومن البشر اقدر من الله سبحانه وتعالى على فهم أغوار النفوس وحركة التاريخ ولأجل ذلك حاول إعطاء مفهوم خاص لشخصية الإنسان القادر على تحريك التاريخ وهي شخصية قوية فاعلة مؤثرة عميقة الإيمان بوجود الله شخصية بإمكانها تحقيق هذه المعادلة:

إنسان + تراب + وقت = حضارة.

ولتمكين الإنسان من صنع التاريخ يرى ضرورة توجيهه لوائح ثلاثة هي:

1 - توجيه الثقافة

2 - توجيه العمل

3 - توجيه رأس المال

وهي المجالات التي بإمكان الإنسان في القرن العشرين أن يؤثر من خلالها في مجتمعه وفي العالم ككل (بفكره، وعمله، وماله).

الإلهية ومهمته الوجودية والتي خلقه الله من أجلها، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيهَا أَلَتَّكُمْ﴾ الأنعام 167. والخلافة تعني تنفيذ شريعة الله في الأرض والتحرك وفق سنته في أعمار الأرض وإنشاء الحضارة ورفد الحياة بكل جديد في إطار التزام صادق وحقيقي بعبادة الله سبحانه وتعالى، فتكون بذلك حركة الإنسان من خلال حرية ملتزمة وهدف منشود وغاية محدودة، وعلى هذا الأساس فالإنسان جوهر حركة التاريخ هذه الحركية التي تستمد منه الغائية والسببية والتطلع إلى المستقبل الذي يعد المحرك لأي نشاط إنساني في التاريخ.

فإذا كان الإنسان يمتلك الحرية والقدرة على التغيير والحركة بفضل وعيه وقدراته العقلية، فلماذا يعيش هذا التخلف والإنحطاط ويعيش في مؤخرة الركب الحضاري للبشرية، كما هو الشأن للإنسان العربي المسلم؟ وإلى ماذا يعود هذا؟ النقص في الوسائل المادية؟!.

يجب مالك بن نبي أن الخلل كامن في أجهزتنا الاجتماعية التي عمادها "الإنسان فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ"⁽³⁾.

على ضوء كل ما تقدم نفهم ان التحدي الذي يواجه المسلمين هو إيجاد "الإنسان" الذي بإمكانه إستغلال "التراب" و"الوقت" والسر في إنجاح عملية التغيير ودفع حركة عجلة التاريخ هو الإرتكاز على قاعدة ذهنية ومبدأ قرآني هام يوضحه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد 11، بمعنى آخر "غير نفسك تغير العالم".

وهنا يجدر بنا تصحيح مفهوم (يراه مالك بن نبي أساسي) وهذا المفهوم لمعنى كلمة "إنسان". يقول مالك بن نبي: «لو صححنا معنى الإنسان في أذهاننا لأدركنا تأثيره في تحريك

العنصر الأول: توجيه الثقافة

1 - التوجيه: يعرفه بأنه "قوة في الإنسان وتوافق في التسيير ووحدة في الهدف" والنتيجة المتوخاة من كل هذا هي: تجنب الإسراف في الجهد والوقت وذلك بتسريع عملية التغيير والبناء ودفع عجلة التاريخ إلى الأمام والنهوض بالمجتمع من حالته المتخلفة إلى شكل من أشكال التقدم والرقى في الحياة، ويدلل مالك بن نبي على هذه الفكرة بقوله "أن الملايين من السواعد العاملة والآلاف من العقول المفكرة من البلاد الإسلامية، صالح أن تستغل في كل وقت، ويرى: أن المهم هو أن ندير هذه الطاقات العاملة في أحسن الظروف الزمانية والمكانية والإنتاجية لكل صنف من أصناف البشر كل في مجاله واختصاصه وما ييسر له وما يمتلك من قدرة وموهبة خلافة، فإذا توفر المجتمع على هذا الجهاز فإنه حينئذ يتحرك ويحدد مجرى التاريخ نحو هدفه المنشود، وهو بناء المجتمع الإسلامي الذي تحركه دفعة دينية، فيحقق بذلك معنى الجماعة، ومعنى الكفاح في حياته أو ما يسمى بالمصطلح القرآني يحقق وظيفة الوجودية في عالم الشهادة⁽⁵⁾.

2 - الثقافة: نظرا لحياة مالك بن نبي الغنية بالرحلات والتي مكنته من الإطلاع على ثقافة الغرب بالإضافة إلى تعمقه في دراسة علوم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي.. إطلع على علوم الغرب وفكرهم المستمد من التراث اليوناني والروماني والمسيحي، فأكسبته كذلك القدرة على فهم المناهج التي كانت تستخدمها كل طائفة على حدة، مما ساعده في بلورة نظرية للثقافة التي تتخطى النظر إليها من جوانبها الثلاثة: الجانب النفسي والجانب الاجتماعي، وجانب العلاقة بين الفرد والمجتمع، ويذهب إلى أن المشكلة هي تعريف الثقافة هي مشكلة الإنسان بصورة عامة، أولا: من

حيث وجوده الاجتماعي والوظيفي في الحياة، وهو في معالجته لمشكلة الثقافة يدرس الجانب الواقعي لها أي الثقافة كما هي في أذهان الناس، وإلى مدى ما كانت نظرة الناس إليها ولماذا كانت عائقا في تغيير أحوالهم الاجتماعية والسياسية والحضارية؟ وما هي النظرة التي ينبغي أن تسود في المجتمع لكي يكون للثقافة الدور الإيجابي المنوط بها؟.

نظرا لهذا التحليل المستفيض للثقافة الذي قام به مالك بن نبي فقد أوصله ذلك إلى نتيجة وهي ربط مشكلة الثقافة بمسألة النهضة في العالم الإسلامي هذا الربط الذي يتطلب تحديد تعريفين لها:

الأول: في ضوء حالتنا الراهنة.

الثاني: في ضوء المستقبل

من خلال هذا التقسيم نجد أن مالك بن نبي يحدد موضوع الثقافة في ضوء تصورها لتطورها التاريخي باعتبارها حركة مستمرة، لأن هناك منعطفات في التاريخ وهي خطيرة تحتم علينا تعريف الثقافة في ضوء الواقع والهدف وكذلك موقعها داخل المجتمع ودورها في البناء الحضاري وكذا علاقتها بالفرد من الناحية المعنوية والسلوكية، وهذا ما دفعه إلى النظر إليها من الناحية الاجتماعية فهي حياة المجتمع، وبدونها يكون المجتمع ميتا، وهي التي تطبع سلوك حياة المجتمع بطابع خاص، وتوجد بين أفرادها تجانسا وتماسكا، وهي التي تعطي له القدرة على البناء والتقدم، وهي فوق كل هذا الوسيط الذي يستمد منه الفرد ما يلزمه من عناصر النمو لكيانه الروحي والنفسي⁽⁶⁾.

ويذهب مالك بن نبي إلى الفصل بين عهدين للمجتمع في تاريخ الأمة العربية الإسلامية عهد الكساد والحمول وعهد النشاط والمدنية⁽⁷⁾.

فدور الثقافة في وضع التاريخ يتحدد ابتداء من البدء في بناء نهضتنا في تلك اللحظات الحاطفة التي تسجل نهاية الظلام في ضميرنا، وديب الحياة في ذلك الضمير، فهي اللحظة الفارقة بين عهد

والعمل.. إشباع الجانب المعنوي والروحي في شخصية الإنسان لتأمين التوازن الروحي والمادي له...»⁽¹⁰⁾.

إذن الثقافة عند مالك بن نبي ليست مجرد علم يتعلم في المدارس أو من الكتب بل هو جو من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين وبناء الشخصية وتحدد دوافع الفرد وعواطفه وانفعالاته وصلاته بالمجتمع، ولهذا اعتبرها نظرية في السلوك وليست نظرية في المعرفة، لأنه في نظره: ما جدوى أن يحمل الإنسان حزمة من الأفكار وكومة من القيم والمبادئ ولكنه لا يترجمها إلى واقع، ولا يحشد لها في سلوكه، فيحدث إنفصالاً بين عقله وسلوكه، بل أن الأساس هو الجانب السلوكي الذي يعكس أفكار وقيم الفرد داخل المجتمع، ويؤكد مالك بن نبي "أن الثقافة إذا تكونت في مجتمع نشأت فيه تلقائياً شبكة الصلات الثقافية وتحددت فيه فعالية الإنسان"⁽¹¹⁾.

إذن ما خصائص وميزات الثقافة كي تؤدي وظيفتها بالنسبة للفرد في عملية صنع التاريخ، وتغيير الواقع المريض:

أ - المبدأ الأخلاقي لتكوين صلاحيات إجتماعية.

ب - الذوق الجمالي العام.

ج - المنطلق العملي لتحديد أشكال النشاط العام.

د - الصناعة أو العلم (الفن التطبيقي الملائم لكل نوع من أنواع المجتمعات)⁽¹²⁾.

العنصر الثاني: توجيه العمل

يرى مالك بن نبي أن حل مشكلة الإنسان لا تكون إلا إذا حلت مشكلة الثقافة، وتكاملت مع توجيه العمل الذي يحدد مصير الأشياء في إطارها الاجتماعي المتولد على الإنسان والزمن والتراب، وتوجيه العمل يعني تأليف كل الجهود التي يقوم بها الأفراد من أجل تغيير أوضاع الإنسان المتردية، وخلق بيئة جديدة تمكنه من كسب عيشه وعيش

الفوضى الجامدة والجمود الفوضوي وعهد التنظيم والتركيب والتوجيه، "وحينما يصل التاريخ إلى مثل هذا المنعطف من دور الحضارة، فإنه يصل إلى المنطقة التي تتصل فيها نهاية عهد ببداية عهد آخر، ويتجاوز فيها ماضي الأمة المظلم مع مستقبلها المشرق البسام".

ويرى مالك بن نبي أن تاريخ الأمة لا يصنع من جديد إلا إذا قمنا بتصفية عاداتنا وتقاليدينا وإطارنا الخلقي والاجتماعي، مما يحتوي من عوامل مميته ورم لا فائدة منها من أجل أن يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة يقول "إن هذه التصفية لا تأتي إلا بفكر جديد، هو وضع النهضة"⁽⁸⁾، ويفصل بين وضعين: الأول سلبى يفصلنا عن رواسب الماضي، والثاني إيجابى يصلنا بمقتضيات المستقبل.

ومن أجل تفسير الإنسان يجب أن يغير وسطه الثقافي وذلك بخلق (محيط جديد) لأن الثقافة في مهمتنا تمثل بالنسبة للحضارة وظيفية الدم بالنسبة للكائن الحي، فإذا كانت مهمة الدم هي نقل الكريات البيضاء والحمراء التي تصون الحيوية والتوازن في الكائن الحي فإن الثقافة تنقل أفكار الجماهير الشعبية، وأفكار القيادة الفنية، وهما العنصران اللذان يغذيان عبقرية الحضارة، وكذلك تلعب الثقافة دور "توجيه الطاقات الفردية لتحقيق بناء الفرد بالنسبة لمصلحته ولتحقيق مكانته في المجتمع بانسجام تلك المصلحة مع مصلحة المجتمع"⁽⁹⁾.

ويرى مالك بن نبي "أن الإنسان الذي يعيش حالة إستيلا ب ثقافي أو حالة التسلط على عمله وسلوكه أو حالة نهب وهدر ثرواته بدون أن يكون في مقدوره التدخل أو الاعتراض، سيتحول إلى طاقة مشلولة لأن الفكر النابع من واقعه الحضاري عطلت آثاره، في توجيهه لمجتمعه". ويرى أن الإسلام هو الهوية الوحيدة القادرة على فتح المجال للإبداع والحركة والفكر

ثانياً: التراب

"التراب أحد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة، فإذا توفر (المركب الديني) لتركيب هذه العناصر - كما أسلفنا - فإننا نرى التراب في بلاد الإسلام جديراً يبحثه هنا كعامل من عوامل الحضارة".

ومالك بن نبي حين يتكلم عن التراب لا يدرس خصائصه وطبيعته بل يبحثه من حيث قيمته الاجتماعية المستمدة من قيمة مالكيه، "فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة، وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة - كما نقول اليوم - يكون التراب على قدرها من الانحطاط".

ويضرب لنا مثالا على واقع أزمة الشمال الإفريقي التي أصبحت مهددة بخطر التصحر فيقول: "علينا أن نوقف النزيف أولاً، وأن ننقذ الشعب من خطر الموت لرأسماله دون أن يجد ما يسد به رمقه". يكفي مثالا على ذلك أن هذه المنطقة كانت مخزن روما للحبوب وأصبحت اليوم تعتمد على الاستيراد يعني أن للإنسان الدور الأقصى في استغلال التراب كما أن مالك بن نبي ينظر إلى التراب بنظرة قرآنية حسب قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الجاثية 12. هذه الآية تبين المفهوم الواسع للتراب عند مالك بن نبي حيث يشمل ما فوقها وما في باطنها وما في مجالها وفي أعماق بحارها... إلخ من الآيات التي اعتمدها مالك بن نبي لتوضيح نظريته للتراب.

ثالثاً: الوقت

نحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى (الوقت) ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم لأننا لا ندرك معناه، ولا تجزئته الفنية.. ولسنا نعرف إلى الآن فكرة (الزمن) الذي يتصل إتصالا وثيقا

كل أفراد المجتمع. ومن شروط هذا التوجيه رأس المال، وهذا بفضل التخصصات التي ينبغي أن تتوفر في المجتمع وتشمل مجالات حياة الإنسان، وبقدر ما توجه الإنسان على مستوياته الثلاثة: الثقافة، العملية، الرأسمال، بقدر ما يغير وجه حياته بالضرورة، واكتمل واحتل مستوى أرقى مما كان عليه من قبل، فهذا العمل وإن كان بسيطا إلا أنه يعتبر أول خطوة نحو خلق المعجزات التي إنتظرها المجتمع⁽¹³⁾.

العنصر الثالث: توجيه رأس المال

يرى مالك بن نبي أن قضية رأس المال في البلاد الإسلامية تختلف عما هي عليه في بلاد الغرب (أوروبا) وهو يرى أن رأس المال آلة إجتماعية تنهض بالتقدم المادي، ولأجل ذلك ميز بين مصطلحين هما: "الثروة" و"رأس المال" فالأولى تعني المال الثابت (الإستاتيكي)، والثانية تعني المال المتحرك (الديناميكي).

ويرى أن توجيه رأس المال لا يزال في طور التكوين في بلادنا لا يتصل أولا بالكم، بل بالكيف، فإن همنا الأول أن تصبح كل قطعة مالية متحركة متنقلة تخلق معها العمل والنشاط، أما الكم فإن ذلك الدور الثاني، دور التوسع والشمول⁽¹⁴⁾.

ويرى أنه من الضروري إنشاء مجلس لتوجيه الثروة فيقول: «ولا يفوتنا أن ننبه بإلحاح إلى تكوين مجلس لتوجيه "الثروة" وتوظيفها، لتتحول إلى "رأسمال" بالمعنى الآنف الذكر، ولتخطيط أهدافه الإقتصادية»⁽¹⁵⁾.

"وبهذا التوجيه الذي يسير متظافرا مع توجيه الثقافة ونوجيه العمل، يكاد يكون الفرد قد إستكمل الشروط اللازمة لتشييد حضارة تطابق إطاره الخاص»⁽¹⁶⁾.

البرهمية إذن تقوم أسس الحضارة في توجيه الناس نحو معبود غيبي... «فكأنما قدر الإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية».

ويضرب على ذلك أمثلة عديدة على سبيل التدليل سواء من تاريخ المسيحية أو التاريخ الإسلامي ويقارن بذلك بين وضعي الجزيرة العربية قبل وبعد البعثة، وهو يرى أن كلمة (إقرأ) قد ولدت الحضارة فهي الروح التي قامت بتركيب العناصر الثلاثة للحضارة وهي العناصر التي لا ينقلها من حالة التكديس إلى البناء إلا بفضل هذا النور الإلهي يقول مالك بن نبي "ومن هنا ندرك سر دعوة القرآن الكريم المؤمنين إلى التأمل فيما مضى من سير الأمم، وذلك حتى يدركوا كيف تتركب الكتلة المخصصة من الإنسان والتراب والوقت.. ولا شك أن المرحلة الأولى من مراحل الحضارة الإسلامية التي ابتدأت من غار حراء إلى صفين - هي المرحلة الإسلامية الرئيسية التي تركبت فيها عناصرها الجوهرية - إنما كانت دينية بحثة تسودها الروح.

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المذنيات الإنسانية حلقات متصلة تتشابه أطوارها مع أطوار المدنية الإسلامية والمسيحية، إذ تبدأ الحلقة الأولى بظهور فكرة دينية، ثم يبدأ بتغلب جاذبية الأرض عليها، بعد أن تفقد الروح ثم العقل»⁽¹⁸⁾.

ولإيضاح فكرته يطرح أمامنا مالك بن نبي المعادلة الكيميائية التالية:



مع العلم أن تشكل الماء لا يتم إلا بوجود مركب شرارة كهربائية⁽¹⁹⁾. وإذا كان الماء لا يوجد إلا بتوفير هذا المركب «فلنا الحق في أن نقول: إن هناك ما يطلق عليه مركب الحضارة أي المعامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة ببعضها بعض، فكما يدل عليه التحليل التاريخي (...) نجد إن

بالتاريخ، مع أن فلكيا عربيا مسلما هو "أبو الحسن المراكشي" يعتبر أول من أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا.

هذا المعنى الذي لم نكسبه بعدا هو مفهوم الزمن الداخِل في تكوين الفكرة والنشاط، في تكوين المعاني والأشياء.

فالحياة والتاريخ خاضعان لتوقيت كان وما يزال يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا.. إن وقتنا الزاحف صوب التاريخ، لا يجب أن يضععباء، كما يهرب الماء من ساقية خربة، ولا شك أن التربية هي الوسيلة الضرورية التي تعلم الشعب العربي المسلم تماما قيمة هذا الأمر، ولكن بأية وسيلة تربوية؟ ويهتدي مالك بن نبي إلى وسيلة لتعليم المسلم أهمية الوقت وهو محاولة تعويده على استغلاله في العمل مما سوف يسمح لنا برفع حصادنا العقلي واليدوي والروحي، وهذه هي الحضارة⁽¹⁷⁾.

أثر الفكرة الدينية في التغيير الاجتماعي

نشعر الآن في تحليل دورة من أدوار الحضارة، بل دورتين، من الوجهة التاريخية، حتى نستخرج منهما السر الكوني الذي يركب هذه العناصر الثلاثة: الإنسان، والتراب والوقت، ليعبثها قوة فعالة في التاريخ، وحسبنا أن ندرس مثلا الحضارة الإسلامية والمسيحية في المرحلة الأولى من نشوئهما. لا يختلف تطور الحضارة المسيحية عن تطور الحضارة الإسلامية إذ هما ينطلقان من الفكرة الدينية التي تطبع الفرد بطابعها الخاص، وتوجهه نحو غايات سامية.

فالحضارة لا تتبع - كما هو ملاحظ - إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها، ولعله ليس من الغلو في شيء أن نجد في تاريخ البوذية بذور الحضارة البوذية وفي البرهمية نواة الحضارة

«..وهذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج إيديولوجية من (عالم الأفكار) يتم تنفيذه بوسائل من (عالم الأشياء) من أجل غاية يحددها (عالم الأشخاص)»⁽²⁴⁾، بمعنى إيديولوجيا أو فكرة + وسيلة + أشخاص لديهم غاية = الحضارة.

أولاً، تأثير عالم الأشخاص

عندما يؤكد مالك بن نبي على أهمية وتأثير الأشخاص في التاريخ لا يقصد بذلك الكم بقدر ما يهمه نوع هذا الفرد ولأجل ذلك يفرق بين (الفرد indiv و الشخص personne وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات تربطه بالمجتمع»⁽²⁵⁾، بمعنى أن الشخص يتجاوز ذاته ومتطلباته الخاصة إلى اكتساب صفة القدرة على التعاون لإقامة علاقة مع غيره لتكوين المجتمع، وبالتالي يؤكد بن نبي على دور الشخص في إطار العلاقات الاجتماعية وبند التفرقة وهذه نظرة إسلامية لا ريب فيها، قال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

ثانياً، تأثير عالم الأفكار

يعتبر مالك بن نبي أن عالم الأفكار من العوالم الاجتماعية المؤثرة في صنع التاريخ، والفكر عنده حسيمة تلك التفاعلات التي تحدث بين عقل الإنسان، ودينه وواقعه المحلي، والواقع العالمي، وكذا الاستيعاب الناضج للتراث البشري الأصيل والدخيل، الهادف إلى تغيير واقع إجتماعي مريض ظل يرضخ حيناً من الدهر تحت قوى الاستعمار «فالواقع هو الكفيل بخلق الأفكار والرؤى التي تمكن الإنسان من صنع تاريخه» والأفكار المستوردة يسميها (أفكار قاتلة) لأنها جاءت من مجتمع له خصوصياته التاريخية والثقافية والاجتماعية والنفسية.

هذا المركب موجوداً فعلاً، هو الفكرة الدينية التي رافقت دائماً تركيب الحضارة خلال التاريخ»⁽²⁰⁾. ويعرف مالك بن نبي المركب أو الروح بقوله: «ولست أعني بالروح ذلك الشيء الدال على منطق أو عقل أو مبادئ مجردة وإنما (...) ذلك الشعور القوي في الإنسان الذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراتهِ وتبليغه لرسالته وقدرته الخفية على إدراك الأشياء»⁽²¹⁾.

إستنتاج: على ضوء ما تقدم يمكن أن نخلص إلى أن المعتقد الديني عند مالك بن نبي يحكم نفسية وفكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، وتحكم في تطورها وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون من خلال حديثه عن دور الدين في البناء الحضاري وكيف أن ذلك يذهب التنازع والتحاسد ويقلل إنحلال وتفرد الوجهة ويشد الفاعلية للفرد والجماعة.

يقول سيد قطب حول أثر وعمق الإيمان في تكوين الحضارة "حين ينهض الإنسان بالخلافة في الأرض على عهد الله وشرطه، ويصبح وهو يفجر ينابيع الرزق ويصنع المادة الخام، وقيم الصناعات المتنوعة، ويستخدم ما تنجّه له كل الخبرات التي حصل عليها في تاريخه كله.. حين يصبح وهو يصنع هذا كله، يقوم بالخلافة على هذا النحو، عبادة الله، يومئذ يكون هذا الإنسان كامل الحضارة»⁽²²⁾.

تأثير العوالم الاجتماعية في الحركة التاريخية

يقول مالك بن نبي: «وإذا أردنا تعبيراً أدق فإننا نقول: إن صناعة التاريخ تتم تبعاً لتأثير عوالم اجتماعية ثلاث:

- أ - تأثير (عالم الأشخاص).
- ب - تأثير (عالم الأفكار).
- ج - تأثير (عالم الأشياء»⁽²³⁾.

علينا بزيتها المادية البهيجة فيقع في نفوسنا شيء مما وقع في نفوس بعض بني إسرائيل حينما خرج عليهم قارون بزيتها فقالوا: «يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» القصص 79. مع أن الطريق إلى الحضارة هو قبل كل شيء طريق الفكر، الذي يحدد الوسائل ونتائجها في مدة معلومة، بحيث يرى السائر ما سوف تنتهي إليه الطريق قبل أن يخطو فيها خطوة واحدة وفي هذا يجب الإعتماد على علم المستقبلات.

وبهذا نرى "أن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد مع منتجاتها وسيكون من السخف والسخرية حتما أن تعكس هذه القاعدة حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها» (28).

وبالإعتماد على هذا التصور في الإقتصاد يمكن أن نحقق شيئا يطلق عليه مالك بن نبي (البناء) أي الإعتماد على الوسائل الذاتية للإنتاج وذلك حسب ذوقنا وحاجتنا من خلال عاملي الكيف والكم وبالتالي "فكل مجتمع ينبغي أن يصنع حضارته بنفسه بإمكاناته وطاقاته وموارده، وأن يوجه هذه الإمكانيات وفق غاية معينة، يحددها عالم الأشخاص ويعمل من أجل بلوغها من خلال حضارته وذلك عن طريق البناء الحضاري.. فلكل مجتمع ثوب فكري وعقدي واحد يستحيل أن يلبسه مجتمع أو شعب آخر يخالفه فيما يسوده من ثقافات وأفكار وأشياء» (29).

فعالم الأشياء بالنسبة لأي مجتمع يريد أن يصنع تاريخه، هو شيء مبني ولا يكس، وشيء يصنع ولا يشتري وهذا ما يقتضينا أن نفكر في المجتمع تفكيراً بناءً وليس تفكير تكديس، لأن التكديس في المجتمع ظاهرة مضرّة» (30).

البعد الحضاري لحركة التاريخ عند مالك بن نبي

إذا كان الهدف من حركة التاريخ في منظور ابن خلدون هو تحقيق الامن والاستقرار للمجتمع

«فهناك أفكار إستهلكت في التاريخ وعالجت قضايا أمة معينة في ظروف زمانية معينة ورقعة جغرافية معينة» (26).

فهذه الأفكار ميتة وتشكل خطرا على المجتمع يهم بالنهوض، وبالإضافة إلى هذا النوع القاتل من الأفكار، فإن التقليد الاعمى لأفكار مجتمعات أخرى تختلف عنا من حيث الدين والثقافة والميلاد والغايات، فأخذنا هذه الأفكار يعتبر إستعمار لنا بشكل آخر، وأخذنا للأفكار الميتة يمثل لنا حالة القابلية للإستعمار.

إذن: فاعلية الافكار لن تتحقق إلا إذا إنطلقت من رسالة روحية، وأن هذه الفاعلية ستكون مؤثرة وعميقة في التاريخ ودائمة إذا إنسجمت مع الحق، واستطاعت أن تغير ما بالنفس ومن ثم تغيير ما بالعقل وتغيير ما بالواقع، فأحدثت لنا إقلاعا حضاريا في التاريخ، فعالم الأفكار الذي يقصده مالك بن نبي هو ذلك العالم الذي يكون بمثابة الشعاع المنير لدروب الشعوب والسهم الذي يحدد المجتمع ما هدفه في التاريخ، علينا إذن من إستعادة إستقلالنا الفكري، ولعل القرآن الكريم خير ما نستمد منه هذه الأفكار السامية والكفيلة بتنظيم وتوجيه وسائلنا الحضارية ودفعها بقوة وثبات لتحريك عجلة التاريخ وبناء الحضارة.

الثالث: تأثير عالم الأشياء

يقول مالك بن نبي «لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء بل بمقدار ما فيه من أفكار» (27)، وهذا يعني أنه لا يعطي لعالم الأشياء نفس الأهمية التي يوليها لعالم الأفكار وربما هو متأثر في ذلك بالتجربة اليابانية التي رغم افتقارها لحد ما إلى عالم الأشياء (خاصة الثروات الطبيعية) إلا أن اليابان تمكنت من تحقيق مكانة لا بأس بها في العالم، ويضرب في هذا المعنى مثلا مستوحى من القصص القرآني فيقول: «فتحن في طريقنا إلى النهضة نتبع سبيل (الشيء) حينما نرى أوروبا تخرج

الحضارة الأور - أمريكية والتي تعبر عنها بالأيديولوجيا والغائية، كما أن هذه الأفكار تعكس بدون شك تأثره بالظروف الصعبة التي كان العالم العربي الإسلامي يعيشها والتي أثرت في نفسية مالك بن نبي كثيرا وهو يرى ذلك الفرق الهائل وعدم التوازن بين الشمال والجنوب، وقد أكسبته سعة ثقافته وإطلاعه قدرة على تحديد مشاكل العالم المتخلف واعتباره إياها قضية حضارة في الأساس مما جعله يضع كل كتبه تحت عنوان (مشكلة الحضارة) واهتم من أجل ذلك بدراسة الحضارات وتاريخها وأسباب انحطاطها وزوالها محددا لسبب الداء وهو (الإنسان) فعمل على وضع قواعد أساسية لتحريك إرادة الإنسان واستعادة فعاليتها وقوتها في تحريك التاريخ، والحضارة عنده لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الموازنة بين ثنائية المادة والروح بين فكره واقتصاده أي بين فهم الواقع واستيعاب الأفكار وتحريك عجلة التغيير من خلال تحديد الهدف وهذا ما يحقق توافقا للعوامل الاجتماعية الثلاثة، ومالك بن نبي في شرحه لكل ذلك اعتمد منهجا تحليليا تركيبيا لحركة التاريخ مرة ووظيفيا مرة أخرى.

أ - التعريف التحليلي التركيبي

يحاول مالك بن نبي وانطلاقا من كونه مهندسا في الكهرباء إلى تطبيق المنهج الرياضي من (تركيب وتحليل) على عناصر الحضارة وهذا من أجل تبسيط عملية الفهم، فإذا أردنا أن نحلل منتج حضاريا كالمصباح نجد:

أ - عمل الإنسان، ب - شيء من التراب (المادة)، ج - كما أن صناعته استغرقت وقتا وهذا يصدق على كل منتج حضاري آخر وإذا أردنا صياغة ذلك رياضيا نقول: منتج حضاري = إنسان + تراب + وقت، وهذه المعادلة يقابلها في مجال الكيمياء مثلا معادلة الماء، $H^2 + O$.

البشري في ظل دولة قوية، فهذا يعني ان البعد سياسي، فما غاية حركة التاريخ عند مالك بن نبي؟. إن المتعمق في فكر مالك بن نبي يجد أن الهدف هو "بناء حضارة" هذه الحضارة لن يتسنى لها القيام إلا بعدما يكون الفرد فيها قد حقق توازنه الاجتماعي والإقتصادي والثقافي والذيني، أي أن الحضارة متزنة من الجانبين المادي والمعنوي على خلاف الحضارة الغربية التي يختلف فيها وزن كفة على الأخرى ونجد أنها أغفلت الجانب الروحي كثيرا، وهذه الطريقة في طرح مالك بن نبي تجعل نظريته لمفهوم الحضارة مفهوما متميزا ينفرد به بين باقي النظريات التي تحاول وضع مفهوم للحضارة، فما هو مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي؟.

مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي (التحليل الوظيفي)

يقول مالك بن نبي "إن مشكلة مسايرة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته مسائرا الأحداث الإنسانية، ولم يتعمق في فهم العوامل التي تبنى الحضارات أو تهدمها (...). وما الحضارات الضاربة في جذور الماضي والحضارات المستقبلية إلا عناصر للملحمة الإنسانية منذ فجر القرون إلى نهاية الزمن، فهي حلقات لسلسلة واحدة تؤلف الملحمة البشرية منذ أن هبط آدم على الأرض إلى آخر وريث له فيها، وبألها من سلسلة من نور تتمثل فيها جهود الأجيال المتعاقبة في خطورتها المتصلة في سبيل الرقي والتقدم"⁽³¹⁾.

إن المتعمق في قراءة هذا القول يرى أن فكرة (الإستخلاف) المستمدة من القرآن الكريم جليلة مما يعكس تأثره بالقصص القرآني وبسبب الحضارة في هذا الكون، وهو يرى ضرورة أن ينظر الإنسان المسلم إلى نفسه من زاوية الإستخلاف في الأرض وهي النقطة الأساسية التي يختلف فيها مع

تحقق ممارسة الدور لهذا المجتمع في سلسلة تاريخ البشرية الملحقة وهي "مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل عضو من أعضائه، في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة، إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه" (33) وهذه المساعدة تتمثل في توفير معمل أو مستشفى أو مدرسة وكذا شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر القطر (34).

واحترام شخصية الفرد تمثل أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه.

دورة الحضارة

يعتمد مالك بن نبي في تفسير الدورة الحضارية على مقولة نيتشه «إنه من السنن الأزلية أن يعيد التاريخ نفسه، كما تعيد الشمس كرتها من نقطة الانقلاب».

فالتاريخ عنده يسلك طريقا منفصلا رغم أن لهذا التاريخ دقات زمنية مزدوجة هي (الصعود) و(النزول) أو هي (الظهور) و(الأفول) كما هو الشأن بالنسبة لنبض القلب الذي ينبض أحيانا Systole ويسترخي أخرى Diastole فرغم تناوب هاتين الحالتين على القلب العادي فهو لا يتوقف، فإذا كانت مرحلة الظهور هي مرحلة إنتعاش روحي وفكري ونشاط عقلي هام فهو ما يحدث على مستوى القلب حين يدفع الدم نحو كل خلايا الجسم موفرا لها كل متطلبات الحياة لهذه الخلايا لتتمكن من تأدية دورها في حفظ صحة وعافية وتوازن الإنسان، وإذا كانت مرحلة الأفول تعبير عن حالة من الوهن وعدم الفاعلية فهي تعبر عن حالة الإسترخاء التي تصيب القلب بعدما يعود إليه الدم وهو محمل بمختلف الرواسب والمواد السامة التي يستغني عنها الجسم والتي يعبر عنها مالك بن نبي في مجال التاريخ بالعناصر

والحقيقة العلمية تؤكد أن وضع الأكسجين بجانب الهيدروجين لا ينتج بالضرورة ماء بل لا بد من عنصر ثالث Catalyseur لهذه العناصر حتى تزيد في طاقة التفاعل فيما بينها فتعطينا مركب الماء وهذا ما ينطبق على الحضارة التي لا بد من مركب لعناصرها الثلاثة وهي الفكرة الدينية.

فالتاريخ يصنع والحضارة تبدأ في الظهور عندما يتحول عنصر (الإنسان) من حالة بيولوجية بحثة إلى شخص إجتماعي ويتحول الوقت من مفهوم كمدة زمنية إلى مفهومه الوظيفي (عمل) والتراب من تراب ينتج بلا شروط إلى تراب ينتج وفق حاجات معينة.

والنتيجة التي نخلص إليها أن الحضارة ليست تكديسا بل بناء وإذا ما تم حل المشكلات الثلاثة: - مشكلة الإنسان وتحديد شروط إنسجامه مع سير التاريخ.

- مشكلة التراب وشروط إستغلاله في العملية الإجتماعية.

- مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد.

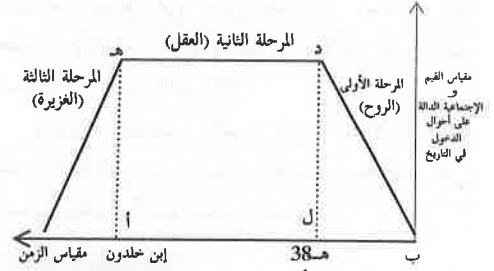
وبذلك تحل مشكلة الحضارة وتكون في مجملها ناتجا لـ: (الإنسان والتراب والوقت).

ب - التعريف الوظيفي

يقول مالك بن نبي: «في الحضارة جانبين الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إرادة تحرك المجتمع نحو تحديد مهماته الإجتماعية والإظطلاع بها، والجانب الذي يتضمن شروطها المادية، في صورة إمكان أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهامه، أي بالوظيفة الحضارية» (32).

فالتعريف الوظيفي إذن للحضارة في رأيه يقوم على توازن بين الجانبين (عالم الأشياء) و (عالم الأفكار) فتكون بذلك الحضارة نتاج حركة أبناء المجتمع بتوازن معنوي - مادي إلى أهداف محددة

القاتلة التي أوجب التخلص منها أولاً ليتسنى لها بعد ذلك من تهيئة الظروف والشروط الكفيلة بإدخالنا حلبة التاريخ وهذه «سُنَّةُ اللَّهِ التي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» الفتح 23، ومن هنا جاء تقسيمه للتاريخ وفق هذا المنحنى:



والحضارة في أي مرحلة من مراحلها هي في الأساس تعبير عن العلاقة العضوية التي تربط الفكرة بسندها مثلاً (الإسلام - بالمسلم) والطريق الذي يدفع نحو التحضر وتحريك التاريخ هو إنسجام العلاقات الاجتماعية فيما بينها وتوحيدها في الاتجاه نحو هدف تتكاثف فيه كل جهودها فيكون بذلك طريقها محدد الهدف موضح المعالم ويوضح لنا هذه الفكرة في قوله: "... فالفكرة الدينية التي تشترط سلوك الفرد (...) تخلق في قلوب المجتمع بحكم غائية معينة، وذلك بمنحها إياها الوعي بهدف معين، تصبح معه الحياة دلالة ومعنى، وهي حينما تمكن هذا الهدف من جيل إلى جيل (...) فإنها حينئذ تكون قد مكنت لبقاء المجتمع ودوامه، وذلك بتثبيتها وضمانها لإستمرار الحضارة".

الخاتمة: مناقشة نظرية مالك بن نبي

إن المتمعن في النظر لمنحنى حركة التاريخ عند مالك بن نبي يستخرج ولا ريب مبدأ الوسطية وهي القاعدة الذهبية التي قال بها أرسطو وأقرها القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون

الرسول عليكم شهيدا﴾ البقرة 123، والوسطية هنا تحدد المستويات الثلاثة لقوى النفس الإنسانية من روح وعقل، وغريزة، والمقياس الذي ترتبط به كل قوة من هذه القوى مع عالم الأشياء وبتعبير أدق الوسطية هنا تتحكم في قانون التوازن بين عالم الأفكار وعالم الأشياء ومقدار الإنسجام في العلاقات الاجتماعية الذي يحققه ذلك التوازن ومالك بن نبي في خضم دراسته لحركة التاريخ والحضارة إستعمل أسلوبا علميا دقيقا ومنهجيا وفق من خلاله على تفسيرات كثيرة ومتنوعة في علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، إقتصاد، الأخلاق، الإنسان والعلم والتقنية، فجاءت نظريته تتسم بالعمق والشمولية، وهي نظرة عميقة أساسها التغيير ونبذ الخمول "غير نفسك تغير العالم" "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" الرعد 11، وهي نظرة خالية من العنصرية، فهو لم يقل بأن عرق يتفوق على عرق في القدرة على صنع الحضارات وهي نظرة نصفها بالتفاؤل وهذا كنتيجة لتشبعه بالوعي الديني الذي نشأ في جوه والذي استطاع من خلاله بلورة نظريته في الحضارة بلورة تتعد كثيرا عن الغلو الذي وقع فيه كثير من مؤرخي الحضارات وكتاب التاريخ مما ألهمه القدرة على تجنب أماكن المغالاة وتفادي النقائص التي وقع فيها من سبقوه، فكان التاريخ عند مالك بن نبي نتاج إرادة الإنسان ووعيه وبكل ما تحمله كلمة "وعي" من دين وإيديولوجيا وفكر وسلوكيات، وكانت دورة الحضارة عنده تعتمد على الفهم الصحيح للقرآن الكريم الذي يحمل مسؤولية بناء الحضارة للإنسان باعتباره أنه حرر وقد سخر له كل مل في الكون لأن الله قد اختاره لخلافته في الأرض وقد حمله المسؤولية ومكنه من الحرية بدليل محاسبته على كل خطأ يرتكبه ومجازاته على كل حسنة يفعلها، وهذا ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية على العمل وبناء الحضارة.



المراجع

- (1) - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ت. عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، الجزائر، 1976، ص93.
- (2) - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ت. عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، الجزائر، ص 16 - 17.
- (3) - محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية، ط 1973، ص 140 وص 150 بتصرف.
- (4) - مالك بن نبي حديث في البناء، م ك ع ط، بيروت، ص84.
- (5) - المصدر نفسه ص85.
- (6) - محمد عبد السلام الجعائري: مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي،، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ص115، 116.
- (7) - محمد عبد السلام الجعائري: مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي،، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ص16.
- (8) - مالك بن نبي: شروط النهضة، دار الفكر للطباعة، الجزائر، 1978، ص 119.
- (9) - مالك بن نبي. عمر كامل مسقاوي: تأملات في المجتمع العربي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1961، ص23.
- (10) - أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكر إصلاحيا، دار النفاثس، بيروت، 1986، ص117.
- (11) - عن مجلة الفيصل، ص22.
- (12) - مالك بن نبي: شروط النهضة، مرجع سابق، ص93.
- (13) - مالك بن نبي: المصدر نفسه، ص112.
- (14) - مالك بن نبي: المصدر نفسه، ص113.
- (15) - مالك بن نبي: المصدر نفسه، ص140.
- (16) - مالك بن نبي: المصدر نفسه، ص141.
- (17) - مالك بن نبي: المصدر نفسه، ص52.
- (18) - مالك بن نبي: المصدر نفسه، ص54.
- (19) - يزد حزام.
- (20) - مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص50.
- (21) - مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص63.
- (22) - يوسف القرضاوي: قيمة الإنسان.
- (23) - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص31.
- (24) - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، المصدر نفسه، ص42.
- (25) - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، المصدر نفسه، ص43.
- (26) - مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص37.
- (27) - مالك بن نبي: شروط النهضة، المصدر نفسه، ص47.
- (28) - أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكرا، مرجع سابق، ص144 و145.
- (29) - مالك بن نبي حديث في البناء الجديد.
- (30) - مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص 21 - 22.
- (31) - مالك بن نبي: آفاق جزائرية، ط1، دار الفكر، الجزائر، 1978، ص63.
- (32) - مالك بن نبي: شروط النهضة، مصدر سابق، ص93.
- (33) - حمودة سعيدي: مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 1984، ص221.
- (34) - المرجع نفسه، ص22.

